الصميم ... عند الحديث معهم يجب الّا يغيب ابداً عن الاذهان ان الحديث يجري مع عدو نذل يفتقر الى اي وازع من ضمير. هذا لا يعني ضرورة الامتناع عن اجراء اي حديث معهم ـ فأنا على استعداد لاجراء حديث مع المفتي ايضاً ـ ولكنني اعرف مع من اتحدث » (٤٦) .

ومن هنا ، ليس من المستغرب ان يتصدى بن ـ غوريون بعنف للاتفاق ، بعد التوقيع عليه بالاحرف الاولى ، ويهدد بتقديم استقالته في برقية بعث بها الى جولب بعد مرور يوم واحد على التوقيع «انني ارى في ذلك انتهاكاً خطيرا للانضباط، وسأستنتج جميع الاستنتاجات»(٤٧). ونتيجة لذلك تأجل التصديق على الاتفاق من اسبوع الى آخر. وعند نهاية تشرين الثاني ١٩٣٨، عيل صبر التصحيحيين واصبحت يد الجناح المعارض او المتحفظ تجاه الاتفاق هي العليا، واعلنت قيادة المنظمة ان «قادة اليسار والمدنيين السائرين في فلكه يسلبون، من آلاف الشباب العبري، الحق في الحراسة والدفاع»(٤٨).

وضع الهجناه واتسل عشية صدور الكتاب الابيض

اخذ تطور اتسل ، عقب فشل الاتفاق ، يتسم بالتوجه نحو مزيد من الاستقلالية عن الحركة التصحيحية ، وتعززت قوة ونفوذ الجناح المتطرف في قيادتها . ففي هذه الفترة ، نشطت قيادة اتسل بلا كلل ، في مجال البحث عن حليف لها ، في أوروبا ، وفي بولونيا بالذات ، حيث المركز الرئيسي لليهود . وكان ابراهام شتيرن ، سكرتير القيادة والرجل الثاني في المنظمة ، قد رئس ، عشية اجراء المفاوضات وفداً من منظمته ، وقام بزيارة لبولونيا استغرقت عدة شهور ، تمكن خلالها من خلق خلايا سرية لمنظمة اتسل بين صفوف حركة بيطار ، دون علم أو موافقة جبوتنسكي ، كما تمكن من اقامة علاقات وطيدة مع المسؤولين البولونيين اعطت ثمارها في ثلاثة مجالات هي : التدريب العسكري ، والتزود بالاسلحة ، وفتح ابواب بولونيا لهجرة اليهود . وارسى شتيرن علاقات طيبة مع الاجنحة « الفاعلة » في الحركة التصحيحية التي ترى في جبوتنسكي شخصاً « معتدلا » ؛ الامر الذي ادخل اتسل في صراع مع زعيم الحركة التصحيحية الذي اعتبر التحرك الجديد للمنظمة لا يشكل نقداً وحتى نقيضاً لسياسته، فقط ، وانما يشكل كذلك تحدياً لزعامته (٤٩) .

وجد شتيرن آذاناً صاغية لدى المسؤولين البولونيين الذين لبوا على الفور مطالب اتسل ، واخذوا يدعمونها بالاسلحة ويقيمون دورات عسكرية خاصة لعناصرها ، مدفوعين الى ذلك بهدف التخلص من التجمع اليهودي في بولونيا وخلق اعوان لهم في الشرق الاوسط . ويستشم ذلك من شرح احد قادة اتسل ، لمسؤولين بولونيين ، تماثل المصالح بين المشروع الصهيوني وبولونيا ، على الطريقة الهرتسلية ، بقوله لهم : « اذا تعاظم الضغط على العرب بقوة ردود فعل اتسل ، ستضعف مكانتهم السياسية ؛ وبذلك تصبح هجرة اليهود من بولونيا ، المعنية بهجرتهم ، ممكنة » (٥٠) . وبفعل تماثل المصالح بين الطرفين ، تمكنت اتسل ، من اعداد وتخريج اعداد من عناصرها ، في فلسطين ، في دورات مكثفة جرت في بولونيا ، ومن تدريب عناصر اخرى ، هناك ، من اوساط شبيبة حركة بيطار ؛ وذلك في الوقت الذي كانت فيه الهجناه تعيش عصرها الذهبي ؛ إذ شهدت نمواً سريعاً ابتدأ ، منذ اندلاع الثورة الفلسطينية ، وتنظيماً له على شكل وحدات عسكرية مختلفة ، يربو تعداد افرادها على العشرين الفاً ، كانت تحظى